

أما وقد انتهى الموسم الدرامي الرمضاني، وانتهت معه السجلات والآراء الانطباعية أو لنقل "الأولية" في تغليب هذا العمل على ذلك أو هذه الشخصية على تلك، فإن الباب الآن بات مشرعاً للنظر والبحث فيما تركته الدراما السورية من جدل في الشارع العربي حول طبيعة الموضوعات التي عاينتها برؤية مغايرة كلياً، وبجراً لم نعهدها في الأعمال السابقة، تمثلت بالارتداد إلى الواقعية والتغلغل أكثر في قيعان البنية الاجتماعية "المستترية" ومحاولة تشريح أهم مشكلاتها ولاسيما المزممة منها.

إن الأعمال الدرامية التي قدمت في هذا الموسم كانت دليلاً كبيراً على هامش الرقابة وأفقها المتسع الذي أجاز الكثير مما كان يعدّ خطوياً حمراء، أو ما كان يتهم بتقديم صورة مغلوطة عن مجتمعنا وواقعنا المحلي، فرأينا مشاهد الاغتصاب بما تحمله من بشاعة، وانحسار الكثير من القيم الإنسانية، والخيانة الزوجية والزواج العريفي وصور الأطفال المشردين، بما يؤكد أن الدراما التي تتبنى خطاباً تنويرياً صادقاً في مقولاته يمكن أن تطاول الكثير من المشكلات وتكون قادرة أكثر على إقناع المشاهد فيما ذهبت إليه.

ولئن شهدنا في مواسم سابقة نزوعاً كبيراً إلى "فانتازيا" الأحداث، وتغييب الزمن ببعده "التاريخي" واعتماد المكان والمظاهر الفلكلورية الموازية كاللباس واللهجة معادلاً موضوعياً لإنجاح العمل، في دفع قسري وممجوج للحكاية وتطويلها بما يفوق طاقتها التعبيرية، وخصوصاً في مسلسلات البيئة الشامية، فإننا اليوم في العودة إلى الدراما الواقعية أو ماسمّاه البعض "دراما العشوائيات" نتلمس وبشكل محسوس أن الكثير من المفاهيم يمكن أن تنقلب انقلاباً جذرياً، بما في ذلك المقاييس الرقابية التي غالباً ما اتهمت بالصرامة والحد من "حرية التعبير والرأي" فيما لو اتجهت الدراما أكثر وتغلغلت في الكثير من الزوايا والمناطق المعتمة، يحدوها في ذلك أننا نعيش في مجتمع منفتح قادر أن يستوعب كل أشكال التغيير.

إن موسماً درامياً حافلاً بمسلسلاته وتعدد مقولاته، يثير كل هذا الجدل ويدفع الشارع إلى النقاش والتأويل، لهو بحق جدير بوقفات ووقفات، لا تتبنى الرؤى الضيقة الأحادية في تحليل العمل ونقده، بل توسّع دائرة الرؤية وتنتظر بموضوعية إلى كل عمل، بعيداً عن الانسياق وراء الآراء والفناعات المسبقة والانقياد إلى لغة الإلغاء والتعميم

الدراما السورية تواجه واقعها..!

فاديا جبريل